

دار الحديث الأشرفية

معلم حضاري للأمة في مسيرة ثمانية قرون (800 عام)

كتبه: الشيخ محمد مجير الخطيب

في دار الحديث الأشرفية درّس أساطين العلماء والأئمة، وفي دار الحديث صنفت كتب عظيمة لا يستغني عنها عالم من علماء الأمة. ومن دار الحديث انطلقت النهضة العلمية بدمشق في العصر الحديث، وفي دار الحديث سجل التاريخ كثيراً من مواقف العزة والإباء، وفي دار الحديث خطط شيخها للثورة السورية الكبرى.

دار الحديث الأشرفية شاهد عدل من الشهود الكثيرين على عصر زاهر في دمشق افتتحه الملك العادل نور الدين زنكي رحمه الله تعالى بدخوله دمشق سنة 549 وبناؤه كثيراً من المدارس، ومن أهمها دار الحديث النورية بناها لشيخه الإمام الحافظ ابن عساكر مؤرخ دمشق، وهي أقدم دار حديث في العالم الإسلامي، واستن بسنته الملوك الأيوبيون من بعده، وكان من أشدهم حباً للعلم وأهله الملك الأشرف مظفر الدين أبو الفتح موسى ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، والعادل هو شقيق الناصر صلاح الدين ابن أيوب رحمهم الله أجمعين.

اشترى الملك الأشرف داراً وحماماً لصارم الدين قيمانز جوار قلعة دمشق من جانبها الشرقي، فهدمهما، وأقام مكانهما دار الحديث الملكية الأشرفية الجوانية، ومسكناً لشيخها بجوارها القبلي، وهي ثاني دار تبنى للحديث في العالم، وتم البناء في سنتين، واحتفل الملك الأشرف بافتتاح دار الحديث في ليلة مباركة، ليلة النصف من شعبان سنة 630، وعهد بتدريسها للإمام الحافظ الحجة أبي عمرو ابن الصلاح الشهرزوري، وهي وقف على المحدثين من الشافعية، وبعد شهر من افتتاحها ورد دمشق استجابة لطلب الملك الأشرف الإمام المسند الكبير الحسين بن المبارك الزبيدي البغدادي، فأنزله الأشرف في دار الحديث فزادهم الناس عليه، وسمع منه (صحيح البخاري) في أيام معدودة من شهر شوال سنة 630، عاد بعدها الزبيدي إلى بغداد وتوفي بها سنة 631 رحمه الله تعالى.

أما الملك الأشرف فقد وافاه أجله رحمه الله تعالى في قلعة دمشق رابع المحرم سنة 635، وكان آخر كلامه: لا إله إلا الله، ودفن قريباً من عمه الناصر صلاح الدين، ولا يزال قبره في حديقة الكلاسة يجله الكثيرون محفوفاً بدثار من الإهمال.

ولا بد لنا بعد هذا أن نذكر باختصار وترتيب أهم ما تضمنه كتاب الوقف لدار الحديث الأشرفية، وهو وثيقة تاريخية تشهد للأمة أنها في عصر ذهبي، وكان الآخرون يخبطون خبط عشواء في ظلام دامس، وقد حفظ لنا نص هذه الوثيقة الإمام السبكي في "فتاويه".

فأوقافها العقارية: مبنى الدار الشرقي قلعة دمشق. سكن الشيخ المدرس. عشر حوانيت جوار الدار. حجرة في غربها. فرنان جوار الدار. اصطلب جوار الدار. قيسارية العادل السفلى والعلو. جميع الساباط قبالتها. حانوتان وحجرة جوار كنيسة مريم. أربع حصص في أربع حوانيت بباب البريد. حصتان في حانوتين في **الحريرينز**. حصة في حانوت بالحداين. ثلث قرية حزرما. وذلك وقفاً مؤبداً، ونقش بعض ذلك في الجدار الشرقي لمدخلها.

واجبات الناظر: عمارة الدار، وعمارة ما هو موقوف عليها وعلى أهلها. توفير احتياجات الدار من زيت وشمع وقناديل ومصاييح وتعاليق وحصر وبسط وآلات التنظيف. توفير احتياجات الأرض الموقوفة على الدار من تقوية فلاح وإقراضه وشراء دواب وآلات. ضبط ما يستجد من أوقاف وتعاهد كتب الوقف والعناية بها. صرف الاستحقاقات الوقفية إلى أهلها. إذا اقتضت المصلحة أمراً دينياً يناسب مقاصد دار الحديث زائداً على ما نص عليه في كتاب الوقف فللناظر أن يصرف من غلة الوقف ما يليق بالحالة. وللناظر إن فضل من غلة الوقف شيء أن يشتري ملكاً يقفه على وظائف الدار، وله أن يستفضل شيئاً لذلك، وإن رأى أن يصرف الفاضل إلى أهل الدار فله ذلك.

الوظائف العلمية: تنوعت الوظائف العلمية في دار الحديث الأشرفية فمنها:

الإمام: ويصرف له في الشهر ستون درهماً، وعليه القيام بوظيفة الإمامة في الصلوات الخمس والتراويح، وعليه عقد حلقة الإقراء والتلقين، وشرطه في هذا أن يكون حافظاً للقراءات السبع عارفاً بها، وللشيخ الناظر أن يجعل حلقة الإقراء إلى شخص غير الإمام، ويوزع المقدار المذكور عليهما على حسب ما يرى فيه. **والمؤذن:** وله في كل شهر عشرون درهماً.

المحدث: ويشترط فيه أن يكون من أعلم الناس بالحديث بدمشق من الشافعية وأن يكون صاحب رواية ودراية، فإن لم تجتمعا في الشخص؛ فيقدم صاحب الرواية، واشترط الملك الأشرف أن يليها الإمام الجليل أبو عمرو بن الصلاح، وأن يُصرف له في كل شهر تسعون درهماً، ولنسله خمسون درهماً كل شهر إلى أن ينقرض آخرهم.

خادم الأثر الشريف: ويصرف له في كل شهر أربعون درهماً، وهو الحاج ريطار غلام الله، ويجري بعده على نسله، فإذا انقرضوا عاد ذلك إلى سائر مصارف الوقف وجهاته.

القراء: ويصرف كل شهر مائة درهم إلى عشرة أنفس من قراء السُّبع، لكل واحد عشرة دراهم.

قارئ الحديث: ويصرف له أربعة وعشرون درهماً كل شهر.

المشتغلون بالحديث: لكل مشتغل بالحديث ثمانية دراهم، ومن زاد اشتغاله زاده الناظر، ومن نقص نقصه.

المستمعون للحديث: لكل من يستمع الحديث في دار الحديث أربعة دراهم في الشهر أو ثلاثة، ومن ترجح منهم زاده الناظر، ومن كان فيه نباهة جاز إلحاقه بالثمانية.

النابعون: ومن حفظ من الطلاب كتاباً من كتب الحديث فللشيخ أن يخصه بجائزة، ومن انقطع منهم إلى الاشتغال بالحديث، وكان ذا أهلية يرجى معها أن يصير من أهل المعرفة فللشيخ أن يوظف له تمام كفاية أمثاله بالمعروف، ويصرف في شراء ورق وآلات النسخ من حبر وأقلام وسائر أدوات الكتابة مما تقع به الكفاية لمن ينسخ الحديث أو شيئاً من علومه أو القرآن العظيم أو تفسيره، ويصرف إلى من يكتب في مجالس الإملاء، وإلى من يتخذ لنفسه كتاباً أو استجازة، ولا يعطي من ذلك إلا لمن ينسخ لنفسه لغرض الاستفادة والتحصيل دون التكسب والانتفاع بضمنه.

العلماء الزائرون: إذا ورد شيخ له علو سماع يُرجل إلى مثله فله أن ينزل بدار الحديث ويعطي في كل يوم درهمن، فإذا فرغ أعطي ثلاثين ديناراً - كل دينار بسبعة دراهم - هذا إذا ورد من غير الشام، فإن كان مقيماً في الشام فله دون ذلك على ما يراه الشيخ الناظر، وإن كان مستوطناً بدمشق واقتضت المصلحة استحضاره في الدار لاستماع ما عنده من العالي فللناظر أن يعطيه ما يليق بحاله من عشرة دنانير فما دون ذلك.

ومن قام بشرط جهتين وقدر على إثباته بمهما فللناظر أن يجعل له ذلك.

ولم ينس الملك الأشرف الإحسان إلى الجوار، فشرط أن يصرف كل سنة من غلة ثلث حزرماً ألفاً درهم في مصالح دار الحديث النورية، والقائمين بمصالحهما، والمشتغلين بالحديث من أهلها.

هذا هو كتاب الوقف أو النظام الداخلي لدار الحديث الأشرفية، ونلاحظ فيه جلياً أنه لا يتدخل في الخطة الدراسية؛ لأن النجاح في ذلك يرجع إلى الشيخ المدرس أولاً، إضافة إلى أن النمط الدراسي لم يكن بالطريقة الآلية التي نمشي عليها الآن.

أول من ولي التدريس بدار الحديث الأشرفية: الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري الموصلية المعروف بابن الصلاح، ولي الدار لما أسست سنة 630، واستمر في ذلك إلى وفاته بمنزله بدار الحديث صباح الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة 643، ودفن بمقابر الصوفية. وقد أملى بدار الحديث الأشرفية كتابه (علوم الحديث) المعروف بمقدمة ابن الصلاح، وهذا الكتاب أساس علوم الحديث في العصور التي تلتها، بدأ بإملائه في دار الحديث يوم الجمعة السابع من

رمضان سنة **630**، وختمه في آخر الحرم سنة **634**، أقرأ كتاب (السنن الكبرى) للبيهقي في (757) مجلساً، وهو مطبوع الآن في عشرة مجلدات ضخام، وقد حفظ لنا في المجلد الثامن من أحد نسخه الخطية صفحة مشرقة من تاريخ سماع الحديث عند المحدثين بتدوين طبقة السماع على الإمام ابن الصلاح التي ذكر فيها **93** سامعاً بألقابهم وكناهم وأسمائهم وأنسابهم، مع ضبط أحوالهم في أثناء مجلس السماع: من ذكر فوات لبعضهم، أو أن بعضهم كان يتحدث أو يكتب أو ينشغل أو ينام في أثناء السماع. مع العرض والمقابلة بأصل الحافظ أبي القاسم بن عساكر من سنن البيهقي، وتم ذلك يوم الاثنين **18** من شهر ربيع الأول سنة **635**، وأسمع وأقرأ الإمام ابن الصلاح كذلك ما لا يحصى من المصنفات والأجزاء الحديثية. رحمه الله تعالى.

ثم وليها الإمام عماد الدين عبد الكريم بن عبد الصمد ابن الحرساني الأنصاري الخزرجي، خطيب دمشق وقاضيتها، واستمر في تدريسها إلى وفاته سنة **662**، رحمه الله تعالى.

ثم وليها الإمام الحجة شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، شارح (الشاطبية)، ومختصر (تاريخ دمشق) لابن عساكر، وله كتاب (الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز)، و(الروضتين في أخبار الدولتين) وغير ذلك، إلى أن توفي في رمضان سنة **665**، ودفن بمقبرة باب الفراديس، وقد حصل أن كشف قبره قبل قرن من الآن تقريباً، فوجد أبو شامة عضاً طرياً كما توفي الساعة، ورأى الشيخ عيد الحلبي شامته فوق حاجبه الأيسر لم تتغير رحمهما الله تعالى.

ثم وليها الإمام الرباني الفقيه الحافظ الحجة شيخ الإسلام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، محرر مذهب الإمام الشافعي، صاحب التصانيف النافعة التي سارت بها الركبان، وأقرأ فيه (الصحيحين)، و (سنن أبي داود)، و(الرسالة القشيرية)، و(صفوة التصوف)، و(الحجة على ترك المحجة)، و(شرح معاني الآثار) وغيرها. ولم يتناول من روايته في مشيخة دار الحديث شيئاً، بل اشترى بذلك كتباً وقفها ... ثم توفي سنة **676**، عن خمسة وأربعين عاماً، وقبره بنوى مشهور يزار رحمه الله تعالى.

ثم وليها بعده خطيب دمشق الإمام زين الدين عبد الله بن مروان الفارقي، وهو الذي عمّر دار الحديث الأشرفية سنة **702** بعد خرابها لما دخل التتار دمشق، ولا يزال اسمه منقوشاً على لوحة حجرية مثبتة فوق باب دار الحديث ... وتوفي رحمه الله سنة **703**.

ثم وليها بعده الشيخ الإمام صدر الدين محمد بن عمر ابن الوكيل، كان فارساً في البحث، نظّاراً، مفرط الذكاء، عجيب الحافظة، أقرأ في دار الحديث صحيح مسلم ... توفي بالقاهرة سنة **716** رحمه الله تعالى.

ثم وليها خمسة عشر يوماً الإمام كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد الزملاكاني، المتوفى ببلييس سنة 727 رحمه الله تعالى.

ثم وليها الإمام كمال الدين أحمد بن محمد الشريشي، المتوفى 718 في طريق الحج رحمه الله تعالى.
ثم وليها أحق الناس بها وأولاهم، شيخ الحفاظ وأعلامهم، الإمام الحجة القدوة شيخ المحدثين جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي سنة 717، وصنف كتابين عظيمين لم يصنف مثلهما: (تهذيب الكمال في أسماء الرجال)، و(تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف)، لا يستغني عنهما مشغل بالحديث، حدث المزي بتهذيب الكمال في دار الحديث الأشرفية، وسمعه منه أجلاء العصر، وبقي يدرس في دار الحديث إلى أن توفي في منزله بها ثاني عشر صفر سنة 742، ودفن بمقابر الصوفية التي تقوم فوقها الآن مباني وحدائق جامعة دمشق!

ثم وليها بعد أن ذكر لها الحافظ أبو عبد الله الذهبي فلم يتفق: الإمام شيخ الإسلام قاضي القضاة خطيب دمشق تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي، واستفتح تدريسه بالحديث القدسي المسلسل بالشاميين: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظلموا...)، وسكن في دار قاعة الحديث، وكان يخرج في الليل إلى إيوانه ليتهدد تجاه الأثر الشريف، ويمرغ وجهه على البساط الذي وقفه الأشرف وعليه اسمه، وكان النووي يجلس عليه وقت الدرس، أنشد السبكي لنفسه:

وفي دار الحديث لطيف معنى
على بسط لها أصبو وآوي
عسى أني أمس بجحر وجهي
مكاناً مسَّهُ قدم النواوي

ثم وليها ابنه قاضي القضاة خطيب دمشق الإمام تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن علي السبكي، صاحب كتاب (طبقات الشافعية الكبرى) وغيره، وتحلل ولايته انقطاعات، ثم توفي بدمشق شيخاً لدار الحديث سنة 771 رحمه الله تعالى، ودفن بسفح قاسيون.

ووليها في انقطاعات التاج السبكي: أخوه قاضي القضاة بهاء الدين أبو حامد أحمد ابن علي بن عبد الكافي السبكي، المتوفى بمكة المكرمة سنة 773 رحمه الله تعالى.

ووليها كذلك: قاضي القضاة خطيب دمشق الإمام سراج الدين أبو حفص عمر بن أرسلان البلقيني، وبهر الحاضرين ما سمعوا من تدريسه لما درس بدار الحديث من كلام محرر بعبارة فصيحة وصوت عال. توفي بالقاهرة سنة 805 رحمه الله تعالى.

ثم وليها بعد وفاة تاج الدين السبكي: الإمام الجليل في التفسير والحديث والفقهاء والتاريخ الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، صاحب (التفسير) الذي سارت به الركبان،

توفي رحمه الله سنة **774**، ودفن بمقابر الصوفية، مكث ابن كثير في تدريس دار الحديث إلى ربيع الآخر سنة **772**.

انتزعها منه قاضي القضاة عمر بن عثمان بن هبة الله المعري وذلك من جملة مصائب الدهر. توفي المعري سنة **783**، وكان قد عزل عن دار الحديث سنة **773**.

فوليها قاضي القضاة خطيب دمشق بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكي إلى وفاته سنة **777** رحمه الله، ودفن بسفح قاسيون عند التاج السبكي.

ثم وليها بعده ابنه قاضي القضاة خطيب دمشق عبد الله بن محمد السبكي إلى أن توفي سنة **785** رحمه الله، ودفن عند والده.

ثم وليه قاضي القضاة خطيب دمشق الإمام برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد ابن إبراهيم ابن جماعة، حفيد الإمام بدر الدين ابن جماعة إلى وفاته سنة **790** رحمه الله تعالى، ودفن بالمزة.

ثم وليها قاضي القضاة سري الدين محمد بن محمد عبد الرحيم السلمي المعري، سبط الإمام تقي الدين السبكي تسعة أشهر ونيفاً. توفي بمصر سنة **799** رحمه الله تعالى.

ثم وليها قاضي القضاة خطيب دمشق شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن مسلم القرشي سنة **791**.

فنزل عنها لوالده العلامة زين الدين أبي حفص عمر بن مسلم القرشي، ووجرت لهما محن وأهوال، وتوفيا سنة **793** رحمهما الله، ودفن الابن وكان أولهما وفاة إثر ضربه في مقابر الصوفية، ومات الأب معتقلاً بالقلعة ودفن في القببات (الميدان وقبره معروف إلى اليوم) رحمهما الله تعالى.

ثم وليها قاضي القضاة الشيخ شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الحسباني، المتوفى سنة **815** رحمه الله تعالى.

اقترب القرن الثامن على الانصرام، ودار الحديث الأشرفية عامرة بالعلم وأهله من الأكابر، وكانت تستضيف بعض المسندين، ومنهم: الشيخ المسند المعمر شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب ابن نعمة الدير مقربي ثم الصالحي الحجار، المعروف بابن الشحنة، قرئ عليه بدار الحديث الأشرفية نحو من خمس مائة جزء، توفي رحمه الله سنة **730** عن مائة وعشر سنين، ودفن بالسفح قرب جامع الأفرم. وممن حدث بها: ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن جهيل، قرأ عليه الإمام محمد بن يعقوب الفيروزبادي صاحب القاموس المحيط "صحيح مسلم" في ثلاثة أيام تجاه نعل النبي ﷺ.

وإلى جانب تدريس الحديث بها كانت تعقد حلقات الإقراء، ويتولاها كبار المقرئين، فمنهم: إبراهيم بن فلاح الإسكندري المتوفى سنة **702**، وأبو بكر بن عمر المقصاتي المتوفى سنة **713**، ومحمد بن نصير

المصري المتوفى سنة **718**، ومحمد بن أحمد الرقي الأعرج المتوفى سنة **742**، وأبو بكر بن عبد الله الحريري البعلبكي المتوفى سنة **747**، وأحمد بن عبد الرحمن البعلبكي ابن النقيب المتوفى سنة **764**، ومحمد بن أحمد اللبان المتوفى سنة **776**، وأحمد بن إبراهيم المنبجي ابن الطحان المتوفى سنة **782**، وأحمد بن ربيعة بن علوان المتوفى **803**، وشيخ المقرئين مقرئ الممالك الإسلامية شمس الدين محمد ابن الجزري صاحب (النشر) و (الطبية) و (الجزرية) المتوفى بشيراز سنة **833**، رحمهم الله تعالى أجمعين.

ثم دخلت كتائب التتار دمشق سنة **803** وعاثت في الأرض الفساد، ونال دار الحديث وغيرها عظيم الأذى، وسرقوا منها نعل النبي ﷺ، وكان ذلك من أشد الكوارث.

ثم ولي دار الحديث الإمام عبد الله بن إبراهيم البعلبي، ابن الشرائحي، المتوفى سنة **820** رحمه الله.

ثم سمي التدريس باسم حسين بن عبد الله السامري، المتوفى سنة **831** رحمه الله.

ودرس فيها: الشيخ محمد بن إسماعيل الونائي، المتوفى سنة **849** رحمه الله تعالى.

ثم درس بها لشيخ أحمد بن محمد العثماني القاهري، المتوفى سنة **840** رحمه الله.

ثم ولي التدريس بدار الحديث الأشرفية أحق الناس بذلك أمير المؤمنين في الحديث الإمام الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة **852** رحمه الله، وليها سنة **836** أقام بدمشق مائة يوم، سمع فيها ألف جزء حديثي.

ثم استخلف ابن حجر علي دار الحديث الإمام الخليل الحافظ الحجة محمد بن أبي بكر بن عبد الله القيسي، المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي، فعاد إلى الدار شابها ونضرة وجهها، وأملى فيها دروسه في تفسير قوله تعالى: **(فَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)** [آل عمران: 164]، وافتتح تدريسه بحضرة أمير المؤمنين في الحديث شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، وله تصانيف كثيرة نافعة. توفي شهيداً سنة **842** رحمه الله، ودفن بمقبرة باب الفراديس.

فاستخلف ابن حجر بعد وفاته: الشيخ علاء الدين علي بن عثمان الصيرفي إلى وفاته سنة **844** رحمه الله تعالى.

فاستخلف ابن حجر بعد وفاته: الشيخ قطب الدين محمد بن محمد الخيضر، المتوفى سنة **894** رحمه الله.

ثم وليها بعده ابنه نجم الدين أحمد الخيضر.

وكان من أئمة القراء فيها في ذلك القرن الشيخ خليل اللدي، وبعده الشيخ أحمد الرملي رحمهما الله.

وذكر من مدرسي الدار:

القاضي بدر الدين محمود التميمي، وكان حياً سنة **946**.

ثم وليها الشيخ العلامة علي بن إسماعيل الشهير بابن عماد الدين، أعطي تدريس دار الحديث الأشرفية بثلاثين عثمانياً وهو درس متجدد، غير مشيخة الحديث. درس في قوله تعالى: **(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** [النور 35] ، توفي سنة 971 رحمه الله.

ودرس فيها الشيخ العلامة أبو الفتح محمد الربيعي المالكي، وعيب ذلك عليه لكون واقفها شرطها للشافعية، توفي سنة 975 رحمه الله.
وتعاقب عليها الشيخ حتى سنة 1167 .

حيث تدهورت أمور دار الحديث، وتلاشى أمرها إلى أن صارت بعد المائتين وألف في حالة محزنة، واستولت أيدي المختلسين على دار مدرستها، إلى أن آلت إلى امرأة، وكان ذلك بعد الستين ومائتين وألف بقليل، فأخذت العالم الأديب الفاضل الشيخ يوسف المغربي نزيل دمشق حمية إيمانية وجد في تخليص الدار من محتلسيها، فسارعت المرأة وأجرت الدار لخمار طلياني يدعى يانكو، وجعلها حانة للمسكرات، ثم تجرأ فصارت يخزن دنان الخمر في مسجد المدرسة، فرفع الشيخ الأمر إلى الحاكم فحكم له، لكنه لم يجد مسعفاً، وحصل للشيخ معاكسات من الوالي، وضاق به الحال، وخرج من دمشق إلى القسطنطينية، واستحل على براءة سلطانية بخطبة دار الحديث وتدريسها ونظرها وإمامتها، ولم يكن في الدار خطبة قبل ذلك، والتقى بالأمير المجاهد عبد القادر الجزائري وشرح له أمر دار الحديث، فلما سكن الأمير دمشق اشترى الدار الموقوفة على الحديث سنة 1272 وأمر بترميم المسجد والمدرسة على نفقته، **وخلب لها محراب جامع الأفرم بالصالحية اشترى شراءً فهو فيها الآن.**

وفي أول يوم من رجب سنة 1274 افتتح الأمير التدريس بدار الحديث بصحيح الإمام البخاري، بحضرة الشيخ يوسف المغربي رحمه الله، وختمه آخر يوم من رمضان، وعادت الحياة إلى دار الحديث الأشرفية من جديد، وتوفي الشيخ يوسف جزاه الله عن دار الحديث خيراً سنة 1279، رحمه الله تعالى، ثم توفي الأمير بعد ذلك سنة 1300 رحمه الله.

ثم ولي دار الحديث شيخ دمشق بلا منازع المحدث الأكبر تحت قبة النسر الشيخ محمد بدر الدين بن يوسف الحسيني، وبه عادت شهرة دار الحديث وذاع صيتها في الآفاق من جديد، وكانت غرفة الشيخ في دار الحديث حمى يلجأ إليه المستضعفون، وتقف على أعتابه سطوة العتاة والجبارين. في دار الحديث كان الشيخ يمضي سحابة نهاره في التدريس والإفادة، وفي دار الحديث كان الشيخ يخطط للثورة السورية الكبرى بصمت واحتساب. ثم توفي رحمه الله سنة 1354. وكانت دار الحديث في زمنه عامرة بمن ينزلها من أعيان العلماء، فمنهم: الشيخ عبد القادر بدران، ومنهم: الشيخ محمود العطار وغيرهم.

ثم قام بأمر دار الحديث خاصة تلاميذ الشيخ بدر الدين، فكان الشيخ محمد يحيى المكتبي إماماً وخطيباً لدار الحديث ومدرساً فيها على وفاته سنة 1378 رحمه الله تعالى. ومن علماء دار الحديث في تلك المرحلة: رئيس رابطة العلماء العلامة الشيخ أبو الخير الميداني، المتوفى سنة 1380 رحمه الله تعالى، والشيخ الطيب الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر الشيخ محمد رفيق السباعي، المتوفى سنة 1403 رحمه الله تعالى، والشيخ أحمد قويدر العريبي إمام دار الحديث المتوفى سنة 1390 رحمه الله تعالى، والشيخ سعيد الهرباوي العريبي إمام دار الحديث المتوفى سنة 1403، والمدير العام لدائرة الفتوى العامة والتدريس لديني، الأستاذ الشيخ محمد فخر الدين الحسني **الطيب** دار الحديث وعمدة معهدهما، حفيد المحدث الأكبر توفي سنة 1407 رحمه الله تعالى.

وفي سنة 1373 تأسست في دار الحديث جمعية خيرية تعليمية قامت بإنشاء (إعدادية دار الحديث النبوي الشريف الشرعية الخاصة للبنين) التي قام عليها الشيخ العلامة محمود بن قاسم الرنكوسي خير قيام يؤازره أعضاء مجلس إدارة الجمعية بتوجيهات العلامة الشيخ أبي الخير الميداني والشيخ يحيى المكتبي والشيخ السيد فخر الدين الحسني، ودرس في تلك المدرسة نخبة ممتازة من العلماء والأساتيد، وتخرج منها أيضاً نخبة من أعلام المجتمع، ثم توفي العلامة الشيخ محمود الرنكوسي سنة 1405 رحمه الله تعالى.

فقام بعده تلميذه وخريجه فضيلة الأستاذ الشيخ حسين حسن صعبية حفظه الله تعالى بإدارة مدرسة دار الحديث ورعاية طلابها والعناية بمرافقها، وضم مرافق حديد إليها، إلى أن غدت قبل عامين (ثانوية دار الحديث النبوي الشريف الشرعية) وفق المناهج الدراسية الرسمية.

أما بعد أيها السادة: فهذه مسيرة القرون الثمانية تشهد لهذه الأمة بالخيرية ولو دب إليها الضعف في بعض أزمانها، وحبذا لو وضعت في داخل دار الحديث الأشرفية أو في خارجها لوحة متوسطة تذكر الأجيال بأعلام أمتهم ممن مروا بهذه الدار، بل حبذا وحبذا لو أقيم في دار الحديث الأشرفية مجلس عام للرواية والتحديث يعيد إلى الأمة ذاكرتها، ويصدقها الخبر عن تاريخها.

دار الحديث الأشرفية شاهد ناطق لمعنى قوله تعالى **(فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْدُهَبُ جُمَّاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ)** [الرعد: 17]، وقوله ﷺ: **(نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره).**

كتبه: الشيخ/ محمد مجير الخطيب الحسني - خطيب مسجد دار الحديث الأشرفية - شعبان المعظم (1430).